بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

مسابقة أفضل بحث أفريقي

المحور الأول: الأدب (الحركة الأدبية ودورها في نشر ثقافة أهل بيت النّبوة (عليهم السلا م) في القارة الأفريقية)

المديح النّبويّ في السّودان: قيم ومَقاهِيم

د.الهام معتصم البشير بانقا ود.سوسن عبدالعزيز محمّد ناشد

جامعة الخرطوم- كلية الآداب

السّودان

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

المديح النّبويّ في السّودان: قيم ومَقاهِيم

د.الهام معتصم البشير بانقا[1] ود.سوسن عبد العزيز محمّد ناشد[2]

المستخلص

المديح النّبويّ هو الشِعر الذي مُدحَ به الرسول( )وأهل بيته، وهو أحد الوان الأدب الشعبي الشائعة في العالم الإسلامي بوجه عام، والأفريقي بوجه خاص، وشعبة أساسية، وركيزة متينة، ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الله متصلا ً بالعبادة، مستقلا ً عن السياسية، أفاض المادحون فيه من ذِكر لمناقب وشمائل النّبي( ) وأهل بيته مستهدين بمدح الله عز وجل له في القرآن الكريم (وَإِنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).[3]

هدفت هذه الورقة إلى تسليط الضوء على شِعر المديح النّبويّ في الس ّودان، ومساهمته الفعّالة في ترسيخ الكثير من القِيم والمفاهِيم[4] الإسلامية، وكذلك بعض الأحكام الفقهية بلغة وصورة بسيطة، وبالتالي معالجة بعض مسالب المجتمع السوداني. جديراً بالذكر أن المديح صار أكثر شيوعاً في السودان نسبة للتغيرات الكبيرة التي أُدخلتَ فيه، إذ أخذ ينحو في مبناه ومساقاته مساقات الغناء والفن من حيث إستخدام الآلات الموسيقية الحديثة، والفُرق الموسيقية المتعددة،كما إرتبط بمناسبات إجتماعية كثيرة وصار منتشراً خارج أطاره السابق وسط الطرق الصوفية.وبالتالي من المُتوقع أن يكون تأثيره أكبر في إحداث تغييرات نوعية في أنظمة القيم الإجتماعية والتي أصبحت مُهدّدة بسبب الإنفتاح غير المحدود على العالم الخارجي.تتلخص أهمية الدراسة في التعريف بالمديح النّبويّ في السودان ومن ثم رصد الأثر الذي أحدثه في تغيير سلوك أفراد المجتمع السوداني وعاداته وتقاليده ونظمه المجتمعية.أستخدمت الدراسة المنهج الوصفي وكذلك التحليلي من خلال جمع وتحليل المدائح المُختارة عشوائياً لمعرفة مضامينها الشعرية من حيث المحتوى و السياق ،واللغة وبالتالي الوقوف على منظومة القيم والمَفاهِيم التي إحتوتها والتي قد تكون إحدى الأدوات الفاعلة في تشكيل الوعي الديني في المجتمع السوداني. توّصل الباحثان إلى العديد من النتائج أهمها مساهمة المديح النبويّ في نشر قِيم المحبة،الكرم،الشجاعة، العفة،و البر في المجتمع السّوداني وكذلك التعريف بالأحكام الفقهية،لذا توصي الدراسة بتوسيع وتنويع موضوعات المديح ومنهجته، لإستخدامه لنشر قيم العدالة الاجتماعية، التسامح، وقبول الآخر.

كلمات مفتاحية: المديح النّبويّ، *القيم والمَفاهِيم، تحليل المحتوى*

1- أستاذ مساعد, كلية الآداب، جامعة الخرطوم
2- أستاذ مساعد بقسم اللغويات، نائب عميد كلية الآداب للشؤون العلمية واللغات، جامعة الخرطوم

[3]- سورة القلم ، الآية (4)

[4]- تعني القيم في هذا السياق الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإ نساني (ذَٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ)، اما المفاهيم فهي مجموعة من الصفات والخصائص الموضحة لمعناه ومدلوله. المصدر: (https://www.almaay.com)

Abstract

Poetry on the prophet Muhammad and his family members (*al-madiiḥ al-nabawi*) is a popular kind of arts and it is widely spread in the Islamic world in general and in Africa in particular. It is one of the means used by Muslims missionaries to spread Islam and its culture.

This paper aims to shed light on this kind of art and its contribution on strengthening a number of Islamic values and concepts, and Islamic juridical rules in a simplified language so that the negativeness of the Sudanese society can be managed. It is worth mentioning that, *al-madiiḥ al-nabawi* undergone a lot of changes in its structure and context, becoming similar to songs in the use of music and in having bands and now it is used in a number of social occasions; as marriage. Accordingly, it tends to spread outside the *Sofias* (Islamic groups), and to have more effects on the Sudanese communities. The present study uses the descriptive and analytical methods. The randomly selected poems were subjected to content, contextual and linguistic analysis so that the systems of values and concepts that formulate the recognition of some of the Sudanese people could be known. The study finds out that, *al-madiiḥ al-nabawi* helps in strengthening a number of values such as love, courage, generosity, among others. It also explains some of the Islamic juridical rules to the Sudanese people. The study recommends that the issues expressed by *al-madiiḥ al-nabawi* should be broadened and varied and it should be systemized in order to spread the values of social justice, equality and accepting others.

Key terms: *al-madiiḥ al-nabawi*, *values* and *concepts, content analysis*

1. تقدمة عن المديح النّبويّ في السّودان

جاء الإسلام إلى السودان في القرن السابع الميلادي، وكان له عظيم الأثر على السودانيين،لأنه بداية تحو ّل حقيقي في أنظمة حياتهم الدينية والإجتماعية والسياسية والفكرية حيث أدّي إلي إنقلاب تام في معالم هذه الحياة، وتبديل في مقاييسها وثظمها ومرافقها، و غير ّ من نفسية الإنسان السوداني وشخصيته ونمط تفكيره خاصة عندما قضي علي الوثنية التي أمتدت لفترة طويلة من الزمن، وحل محلها الإسلام الذي بدأ التبشير اليه ونشر ثقافته عن طريق الدعوة والتعليم.[5]وأول من نشره في السودان غلام الله بن عابد وابنائه الذين نشروا الثقافة الدينية في السودان الشمالي ونزل نفر منهم جهات الوسط.[6]حمل هؤلاء العرب أفكارهم إينما حلوا، ولعل أثرها كان ظاهراً ً في معظم أواسط السودان.[7] وفي القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي قدِمت هجرات أخرى للعلماء من مصر والحجاز وشمال أفريقيا الأمر الذي أدى إلى توسيع دائرة الجماعات الصوفية وبناء الخلاوي والزواياء للتعليم.[8] وبرزت بعض التجمعات الدينية والصوفية،كان نواتها شيخ الطريقة الذي يفِد إليه الناس من كل حدب،وصوب، ويصبح هذا المكان مأواهم، ومأوى لطلاب العلم الذين ياتون لتع ُلـ ّم القراءة والكتابة، والقِيم الإسلامية والفقه والعبادات وأصول الدين، فعرفوا العُدة، ونظام التوريث في الإسلام على أساس النسب للأب كما قال الله (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ).[9] فقد كان سائداً نظام التوريث للأم سابقاً.[10]

نشأ المديح النّبويّ وسط تجمعات الصوفية ،وكان يحمل المُثل العليا المشتركة لكل أفراد المجتمع السوداني ، والتي يتحكم فيها مبدأ أخلاقي واحد ينظم حياة الناس، وتتوارثه الأ جيال جيلا ً عن جيل، ونعني به مبدأ (المروءة) وما تحمله في داخلها من صفات الشجاعة والكرم والنجدة وحفظ عِرض الجار والإباء والأنفة وإلى غير ذلك من الصفات العربية المورثة.[11] جمع المديح النّبويّ في السودان بين العامية السودانية، والعربية الفصحى فأصبح قريباً من فهم الإنسان السوداني ذو الثقافة المتوسطة التي كانت نتاجاً من تلاقح الثقافتين العربية الوافدة والمحلية المؤروثة، خاصة وأن الدين الإسلامي جاء معبـ ّراً عن انتقال الا نسان من حياة الفردية والمسئولية الشخصية إلى مرحلة الجماعية والمسئولية الإجتماعية في الحياة المدينة؛لأن الدين ليس ديناً روحياً كبقية الأديان بل هو ديناً إجتماعياً ايضاً لا يكتفي بتنظيم حياة الأنسان بربه فحسب بل ينظم العبادات والشعائر، ويربط حياة الأفراد بالمجتمع ويربط الحياتيين بالم ُثل الأنسانية الع ُليا التي هي تراث البشرية جمعاء.[12] وجد المديح النبّويّ بيئة أفريقية صالحة للتعبير عن الثقافة العربية الإسلامية، والتي تأص

---

[5]-محجوب عمر باشري، معالم تاريخ السودان، السودان، 2000م، ص21

[6]- محمد فوزي مصطفى عبدالرحمن، الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر، السودان، 1972م، ص32

[7]- الشاطر بصيلي عبدالجليل، معالم تاريخ سودان وادي النيل، السودان ،2009م، ص26 - 25

[8]-عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، الخرطوم، 1967م ، ط2 ،ص32

[9]- سورة الأحزاب الآية (5)

[10]- عبد العزيز أمين عبد المجيد، التربية في السودان من أول القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر والأسس النفسيه والأجتماعية التي قامت عليها، القاهرة، 1949م، ص107- عبد المجيد عابدين، المرجع السابق، ص83

[11]- محمد فوزي مصطفى، مرجع سابق، ص123

[12]- عون الشريف قاسم، في معركة التراث، بيروت، 1972، ط1، ص 16-17

ّلت جذورها في شبه جزيرة العرب وإنتقلت إلي الس ّودان مع الفاتحيين الجدد الذين أ عتمدوا على الأفارقة أنفسهم في بث الدعوة في مجتمعاتهم وفي غيرها من المجتمعات الأ فريقية لمعرفتهم بعادات ولغات أهاليهم وألفتهم لهم.[13] لذاحقق تطو ّراً وأزدهاراً ملحوظاً منذ ذاك الوقت حتى يومنا وصار فناً قائماً بذاته له خصائصه وطرقه.ومن ثم شكل أحد أهم الفنون في المجتمعات الإسلامية الأفريقية الحديثة ،وعنصراً حيوياً لأبد منه في تراثنا الشعبي.

3. التحليل والمناقشة

تقوم الدراسة علي المنهج الوصفي وكذلك التحليلي من خلال جمع وتحليل المدائح المُختارة عشوائيا ً لمعرفة مضامينها الشعرية من حيث المحتوى والسياق، وبالتالي الوقوف على منظومة القيم والمفاهيم التي حوتها والتي قد تكون إحدى الأدوات الفاعلة في تشكيل الوعي الديني في المجتمع السوداني.

عزّز أهل التصوف في السودان القِيم السّودانية الحسنة التي أبقى عليها الإسلام عند نزوله ،ونظموها في أشعارهم لِتقرب للسامع الفكرة التي أرادوا توصيلها وهي هداية الناس، ونشر الثقافة الإسلامية لتحقيق أهداف أخلاقية وإنسانية عُليا ،امتثال القوله تبارك وتعالى: (انّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلتِي هِيَ أَقوَمُ)[14]. فإزداد النظم الشعري الدارجي (بالعامية السودانية) لدى المشايخ ،وأصبحت لهم قصائداً يسمونها "لسان الحضرة"،يذكرون فيها الهبات التي أكرمهم بها الله، والوعظ والإرشاد، لها ألحان تُوقّع على حركات الذكر، كما رافقت بعضها آلات الموسيقى مثل (الطار) والطبل والصنج.كما ظهر هنالك قليل من مشائخ الطرق الصوفية من كان ينظم مدائحه باللغة العربية الفصحى. قال الشيخ حياتي*[15]:

حَوّى حُسْنُو إحْسَانَاً خُلقاًوبشْرَاً *** ومَكارِمْ الأخْلاقْ فُخِرَتبُو فْخُرا[16]

تطرّق الشاعر في قصيدته إلى قِيمة على جانب كبير من الأهمية في الشريعة الإسلامية وهو حُسنْ الخُلق، ومكارم الأخلاق قال الرسول( ): (إنما بُعِثْتُ لأ ُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق)،[17] كما قال( ) (إنّ مَكارِمَ الأخْلاقِ مِنْ أعْمَالِ أهْلِ الجَنّة)،[18]لقد ساهم المديح في نشر هذه القيم في المجتمع السوداني عن طريق الكلمة البسيطة التي تحوي في مضونها الكثير من المعاني والدلالات.ايضا تناول شعراء المديح القيم الحميدة الأخرى التي أبقى عليها الإسلام، وأكسبها دلالات جديدة تغاير دلالاتها في الماضي ، مثل الشجاعة والإستبسال في القتال والتي كانت من أجل التباهي والتفاخر فأصبحت من أجل رفع

كلمة الله، والإستشهاد في سبيله ولم يبق الكرم للتفاخر وإظهار المقدرة،وانما أضحى لمساعدة الإخوة في الدين، وللتعبير عن التضامن الإجتماعي، الأمر الذي جعل دور هؤلاء الشعراء على قدر كبير من الأهمية والريادة وأكسبهم حب العامة والخاصة ،ومن شعراء

---

[13]- حسين النور يوسف، من شعر المديح النبوي، الخرطوم، 1993م، ط1، ص113

[14]- سورة الأسراء ، الآية (9)

[15]- محمد حياتي بن حاج حمد العربي ولد في ام ضوء بان عام 1872 ، له ديوان حياتي البارع، المصدر ابراهيم القرشي، الشيخ حياتي البارع، الخرطوم،2016م، ص17

[16]- ابراهيم القرشي، الشيخ حياتي البارع، الخرطوم ،2016م ،،ص73

[17]- رواه البيهقي : في الكبرى (191/10)، و https://dorar.net/hadith/sharh/113995

[18]- رواه البيهقي : في الكبرى (191/10) ،و https://books.google.com/books?id

المديح في السودان الماحي محمدالشيخ أحمد المعروف بحاج الماحي،وعبدالرحيم محمد وقيع الله البرعي، ومحمدحياتي بنحاج حمدالعربي، وأحمد ودسعد، وغيرهم.

اذدادت أهمية المديح النّبويّ في السودان نسبة للإنفتاح على العالم وما يمر به من تطورات وأحداث ومتغيرات. وظهر العديد من الشعراء المتأثرين بالأوائل من كتّاب المديح مثل علي ودحليب المتوفي (1198-1784م) والذي يعتبر أول من أفترع فن المديح الشعبي ؛ بشقيه النّبويّ و الصوفي في السّودان في منطقة (شمال السودان)، فقد أجمع بعض الدّارسين على أنه من قام بوضع هيكلا ً لقصيدة المديح النّبويّ الشعبي، ثم أتبعه الشيخ النقر الذي سار على خطاه الأمر الذي أدى الى تزايد أعداد المؤلفين أمثال ودسعد وأحمد ودتميم وغيرهم.[19]فقوي هذا اللون من الشعر ،وذاع وانتشر في فترة المهدية .ويمكن القول أن فترة المهدية هي فترة هذا اللون من ألوان المديح النّبويّ السودان فقد أستخدم للوعظ و الإرشاد والدعوة للتمسك بالقيم الدينية[20]، كما قال أحمد ودسعد:

يالبيب نفسك حاسبا *** شوف بزاره وشوف مكسبا
اتعظ بمدينة سبا *** والأمور لله أنســبا[21]

جمع الشاعر في هذه الأبيات بين اللهجتين ؛العامية السودانية والفصحى ،وجاء في إختياره لكلمة لبيب إقرار بوجوب مخاطبة العقول وهو المنهج الرباني المذكور في القرآن ق ال تعالى:(لآيٰتٍ لِّأُوْلِي الألْبَاب) [22] إذ أن على اللبيب أن يتعظ بمدينة سبأ اليمنية ومأصابها من إنهيار لسد مأرب ،فقد كانت مملكة عظيمة لها تاريخ تليد ضارب في القِدم. اشارت الأ بيات إلى معرفة المادح بثقافة وجغرافية المكان،ومسوغات هذا (مملكة سبأ).كما يدعو الشاعر إلى محاسبة النفس قبل أن ياتي يوم الحساب،والمفهموم المراد ايصاله هنا أن "الكيّس من دان نفسه وعمل لمابعد الموت". تشير هذه الأبيات إلى غرس قِيمة من القيم المهمة وهي محاسبة النفس قبل أن تأتي محاسبة الله. وربط بين قوة الإيمان والعقل، والتي تتمحوّر حول ردّ الأمور إلى الله وهو التوحيد.

تطوّرت حلقات المُداحّ الذين كانوا يطوفون القرى لنشر الثقافة الدينية ،وتدريس الناس العقيدة والفقة وتعليمهم السيرة النّبويّة ،وحل مشاكلهم ،وفض المنازعات ،وإغاثة الملهوف الأ مر الذي دعّم وظيفتهم الإجتماعية ،فقد شاركهم مشائخ الطرق الصوفية في توسيع دائرة الجماعات الصوفية، وتأسيس الخلاوي والمراكز للدعوة ،الأمر الذي ساعد على إنتشار فن المديح النّبويّ ،وانتشرت أشعارهم في فترات متعاقبة من تاريخ السّودان، لإرتبطها بالدعوة ل لإسلام ،والذود عن حياضه والدفاع عن النبي( )وأهل بيته. وبالتالي ساهم المديح النّبويّ في التعريف بالسيرة النّبويّة بأسلوب سهل وبديع وبلغة أهل السّودان ،كما عرّف الناس بأهل البيت، عُرفت من خلاله الأحكام الفقهية ،فهذا ودسعد يتكلم عن مسألة شغلت الناس زماناً وهي القبض والسدل في الصلاة وأيهما أولى إلى آخر ذلك، فقال ود سعد في يسر وسهولة:

في صلاتو ياعدلا *** قبض النبي وسدلا[23]

---

[19]- محمد فوزي مصطفى عبدالرحمن، مرجع سابق، ص 123
[20]- الحسين النور يوسف، مرجع سابق، ص 114-115
[21]- الحسين النور يوسف، مرجع سابق، ص 122
[22]- سورة آل عمران ، الآية (190)
[23]-تعني سدلا ارخى ،سدلا الثوب ارخاه من غير ضم جانبيه، المصدر: https://www.almaany.com

فالأمران موجودان في التشريع،[24]ومن الملاحظ أن المديح كان يُصاغ بلغة بسيطة وقريبة إلى السامع ،وفيه تبسيط للاحكام الدينية ودعوة إلى التمسك بتعاليم الإسلام ومراقبة الله في السر والعلن.

المديح النبوي هو أدب رفيع وفن نادر ضرب فيه أفاضل هذه الأمة بسهم وافر[25]. حمل كل القيم الدينية والتي وجدت قبولا ً عند العامة ،وذلك للكيفية التي صيغ بها من حيث بساطة مفرداته وإرتباطها بالبيئة السودانية، وصار وسيلة تعليمية لايصال المعرفة بالدين وبثقافة أهل البيت وكذلك بالسنة النبوية. وتظمت الكثير من القصائد وظهرت دواوين للكثير من شعراء المديح مثل الشيخ عبدالله محمد يونس العركي (الدرر النظيم في مدح النبي العظيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) ومن أمثلة ذلك قوله:

طربت إلى مدح النبي محمد *** فأنشئ ماانشي وان-سخ في الخط

طبيب لعلات الذنوب معالج *** غيات الورى انناء بالجدب والقحط

طليق المحيا غير جاف وعابس *** وفيّ إذا أسدى يعجل بالشرط[26]

يتحدّث الشاعر عن سيرة الرسول ( ) في هذه الأبيات بلغة عربية فصيحة ،يتضّح فيهاتطوّر شعر المديح،وأدواته ووسائله من خلال الأبيات التي تذخر بالأدوات البلاغية مماجوّد وصفه للرسول وبيّن صفاته ورسم صورة سلوكية بيّنة وقريبة من السامع. تناولت القصيدة فضائل الرسول وصفاته وأن الإقتداء به فيه علاج لامراض النفوس ،وهي من أفضل القيم الأ نسانية إذ تتوقف عليها سلامة المجتمع .فهو الطبيب والملجأ عند الأزمات والإبتلاءات ،وهو قرآن يمشي علي الأرض في طلاقة محيا هو وفاءه بالوعد ورد الحقوق وفيه ذا تأكيد لمفهوم العدالة.

نشطت الحركة الأدبية وكان لها دوراً بازاً في نشر الثقافة العربية الإسلامية بهدف تغيير أوضاع المجتمع، وربطه بالمجتمع الإسلامي العالمي. ومن هنا ظهر أدب المديح الذي تناوله العرب منذ ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية والشام في أشعارهم التي تعبّر عن القيم التي حرص العرب التحلي و التفاخر بها.[27] اقتدى السودانيون بالشعراء العرب – مثل حسان بن ثابت ودعبل الخزاعي[28]_ في مدحهم للرسول( ) واستفادوا من تجربتهم في المديح ومن إستعمالهم له في نشر الدعوة إلى الإسلام،[29] واهتدوا بهم في نشر ثقافة أهل بيت رسول الله، وحفظ التراث الإسلامي، ومخاطبة وجدان العامة تحدث عون الشريف قاسم عن محبة الشيخ حياتي للرسول: (ولعل هذه الميزة التي يتفرد بها شعرالمديح النّبويّ هي التي

---

[24]- حسين النور يوسف، مرجع سابق، ص 125

[25]-عبدالله الطيب،مدح الرسول،مستل من المرشد الى فهم اشعار العرب، قدمه ابراهيم قرشي، الخرطوم ، ط1، ص30

[26]- حسين النور ، المرجع السابق ، ص،130، نقلا من الدر النظيم في مدح النبي العظيم، ص700

[27]- عبدالله الطيب، مرجع سابق، ص36

[28]- عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص83

[29]- عبد المطلب الفحل، الصلاة على الرسول الماحي في مدائح حاج الماحي، السودان 2010م، المقدمة، ص س

جذبت إليه قلوب المسلمين وعقولهم على مدى التاريخ لأنه يركز في وجدانهم من خلال مدح المصطفى ( ) قيم الدين الذي جاء به الرسول ويصوّر لهم أبلغ الصور تفاصيل حياة رسولهم وحياة الصحابة الذين عاصره والمواقف العظيمة التي وقفوها مما يجعل من تاريخ ا لإسلام ومضمونه الروحي ميسور الفهم لعامة الناس وهو يدخل الى قلوبهم وعقولهم من خلا ل النغم الشجي والصوت الرخيم الذي أمتاز به معظم المنشدين لهذا الضرب من الشعر العظيم).[30]

تفوق شعراء المديح النبّويّ في السودان على العرب في مدح رسول الله ً ( ) وأهل بيته بل وفاقوهم في ذلك. يقول بروفسير عبدالله الطيب:- (لاتكاد أمة تعرف المدح النّبويّ وتحبه وتحياه وتعايشه وتؤلف فيه كما تفعل أمة السُودان،فالمديح هوحاديهم وهاديهم وزادهم، ومانتشر الهدى والسيرة بينهم بأكثر مما انتشر عن طريق المديح ،وهو سهمهم الكبير في الدعوة ،به وحدوا ربهم ووقروا رسولهم وعرفوا صحابته ودرسوا سيرته دقيقها وجليلها ،ولايكاد العوام في بلاد الإسلام كلها يعرفون مايعرفه عوام أهل السُودان عن السيرة النبّوية عن طريق المديح النّبويّ).[31]

تناول الدكتور أنس العاقب فن المديح وقال : (إنّ مفردة «مديح» كمصطلح سوداني تعني وتدل على ذلك الفن الغنائي الذي ركز وتخصص في أداء ونشر رسالة دينية تهدف إلى نشر تاريخ وتعاليم الدين الإسلامي من منطلق التركيز على السيرة النبوية وآل البيت و الصحابة منذ فجر البعثة والدعوة إلى الإسلام.[32] ويشير إلى أنّ فن المديح في السودان إرتبط بنشأة الطرق الصوفية بعد قيام السلطنة الزرقاء في مطلع القرن السادس عشر الميلا دي. لكن هذه الطرق استقرت في بدايات القرن التاسع عشر وتعتبر الطريقة القادرية هي الأ كثر إنتشارا لا سيما في منطقة الجزيرة وسط السودان. المديح فن أصيل لم ينبع من فراغ لأ ن المجتمع الذي خرج منه كانت له فنون غنائية متنوعة ذات خصائص متفردة في الشكل العام من حيث المقامية وأسلوب الأداء وإستخدام الإيقاعات المختلفة والمتنوعة التي استمدها من الأقاليم التي تقع شمال ووسط السودان والتي يطلق عليها "الوسط" إصطلاحا. ويضيف: وبهذه الخصوصية جمعت المدائح باقة من الإيقاعات التي كانت تشكل أساسا للأ غاني الشعبية والمحلية في السودان.

إزدادت الحاجة الى فن المديح في القرن العشرين لنشر الثقافة الإسلامية عن طريقه ، وبغرض تقديم مادة سهلة تذكي الزهد، والعمل الصالح في نفوس الناس، في وقت طغت فيه سطوة المادة، وسيطرة على البعض شهوات الدنيا، واستحكمت في النفوس حتى أصبح (القابض على دينه كالقابض على الجمر)، لأن الدين في عمومه هو صراع بين جانبي النفس ا لأنسانية (العقل والغريزة، وانسان وحيوان) هو تسجيل لانتصارات الجانب الروحي والعقلي على قوى الظلام والتخلف في النفس الإنسانية، الدين في الواقع ليس إلا تجسيداً للقيم التي

---

[30]- عبدالله الطيب، مرجع سابق، ص 28

[31]- عبدالله الطيب، مرجع سابق، ص 38، بكري الناير محمد ورقة بعنوان زين،مشروعة لمديح النبوي، كلية ا لآداب جامعة سنار، السودان،2018،ع (38)

[32]- https: ://www.alquds

توصل الى معرفتها الأنسان عن طريق القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.[33]

إذن فالمديح النّبويّ يزكي القِيم التي نزلت في القرآن الكريم، وطبّقها الرسول الكريم وأهل بيته وصحابته.وبالتالي فأن هذه القِيم والخبرات تمكن القاري والسامع من زيادة رصيده المعرفي والثقافي والقِيمي عن طريق أطلاعه على روائع الأعمال الأدبية التي تزيد خبرته بالحياة ،وتؤثر في شعوره الإنساني. فالأدب يساهم أكثر من غيره في عمليات إستخ لاص القِيم لأن للشِعر تأثيراً على النفس الأنسانية فهو يؤثر في المشاعر ،ومن ثم التفكير و الوجدان ،لأن كل عمل من الأعمال الأدبيةيحمل في طياته تجارب وخبرات أصحابه االذاتية والموضوعية.[34]

لقدأكثر الشعراء السودانيون من النظم في الأغراض الشعرية القديمة كالمدح والهجاء و الرثاء والزهد ،ونظموا الكثيرمن القصائد فيها وإن جدّدبعضهم في طرائقها وألفاظها ومعانيها حتى تتناسب مع العصر الذي يعيشون فيه ،فطبعوها بطابع بئيتهم،وأدخلوا فيهابعض القِيم المؤروثة التي أمّن عليهاالإسلام، فاصبحت المدائح النّبويّة ذات طابع خاص على أيدي الشعراء التقليديين الذين مزجوا الشعر بالوعظ والإرشاد والدعوة إلى الإصلاح كما قال الشيخ فرح ودتكتوك

من باع ديناً بدنيا واستعزّ بها*** كانما باع فردوساً بسجين

فلقمة من طعام البر تشبعني ***وجرعة من قليل الماء ترويني[35]

أقرّ الرسول الكريم ( ) المديح منذ العهد النبوي كأحد وسائل الدعوةإلى الإسلام،[36]ونشر ثقافةآل بيت رسول الله وصحابته الاكارم. وتناول فضله وذكر فضائله البروفيسور عبدالله الطيب في كتابه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها وربط ذلك بحب النبي .[37].

قال:الشيخ عبد الرحيم البرعي*[38]:

طوبي لمن يسعى لخدمة مسلم *** فله بذلك حجة غير افترا

واليك يا ذا الفضل سيرة أحمد *** خير الأنام وخير من وطئ الثرى

قدكان يسعى كي يعود مريضه *** متفقداً أصحابه ومزاورا

ويعين خادمه كذاك حريمه *** حمل البضاعة بائعاً ثم اشترى [39]

تتضح ثقافة الشاعر وإلمامه بالسيرة النبوية وبالتاريخ الاسلامي من خلال إستخدامه للغة والمفردات الرصينه والمعلومات الضافية للموضوع ممأبرز معظم القيم المُدرجة بالأبيات. عكس الشاعر أهمية دراسة السيرة للإقتداء بها فقد سعى الرسول لخدمة الإسلام وهذا

---

[33]- عون الشريف قاسم ، مرجع سابق، ص7

[34]- عون الشريف قاسم، مرجع سابق، ص7

[35]- عبدالمجيد عابدين ، مرجع سابق، ص210

[36]- عبدالمنطلب الفحل، مرجع سابق، المقدمة س

[37]- عبدالله الطيب، المرشدإلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط 2،الكويت بالتعاون معهدالآثار الإسلامية، ج4، ص 4

[38]-*عبدالرحيم محمد وقيع الله البرعي ولد في قرية الزريبة منطقة شمال كردفان، حفظ القرآن، مُنح الدكتوراة الفخرية من جامعة أمدرمان الإسلامية وجامعة كردفان وجامعة الجزيرة، له عدد من الدواوين الشعرية، عبدالرحيم البرعي ، ليك سلام مني ،الخرطوم 2003،ط2،ص7 ، الزمزمي بشير ورقة بعنوان الشيخ عبد الرحيم البرعي ودوره في تبسيط الدعوة لعامة الناس، في مؤتمر الإسلام في أفريقيا 2006م.

[39]- عبد الرحيم محمد وقيع الله البرعي، ديوان رياض الجنة ونور الدجنة ، الخرطوم،2012، ط5، ص109

يعزز قيمة التكافل بين المسلمين. عندما يلتزم المجتمع بهذه القاعدة يجد التكافل الإ جتماعي مكانه بارزاً في المجتمع بحيث تتحقق فيه جميع مضامينه، ذلك أن الإسلام قد أهتم ببناء المجتمع المتكامل وحشد في سبيل ذلك جملة من النصوص والأحكام لإخراج الصورة التي وصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك المجتمع بقوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بـ السهر والحمى).[40]ومن مظاهر التكافل في الإسلام زيارة المريض،ورعاية حقوق الجوار، فقد أكد الإسلام على البر بالجار وصلته، وكف الأذى عنه وإيصال الخير إليه، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾.[41].لقد أقام الإسلام تكافلا مزدوجاً بين الفرد و الجماعة، فأوجب على كل منهما التزامات تجاه الآخر، ومازج بين المصلحة الفردية و المصلحة العامة، بحيث يكون تحقيق المصلحة الخاصة مكملا للمصلحة العامة، وتحقيق المصلحة العامة متضمناً لمصلحة الفرد، فالفرد في المجتمع المسلم مسئول تضامنياً عن حفظ النظام العام، وعن التصرف الذي يمكن أن يسيء إلى المجتمع.[42] قال تعالى:(الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ..) [43]

تناول يوسف الشريف الهندي*[44]في ديوانه المولد الكبير أهل بيت رسول الله ( ) وضمّنهم مجموعة من قصائده، جاء في بعض الابيات:

الحسنين والإمام والزهراء في القتام *** زين العابدين تمام القادات الهمام

آل البيت يا غلام أصل الدين والنظام *** في المبدأ والختام بهم نيل المرام[45]

تحدث الشاعر بلغة عربية فصيحة وفي قوالب شعرية موزونة عن أهل بيت رسول الله ( ) السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول، وذريتها الكريمة متناولا صفاتهم ،وافعالهم التي تبيّن قِيمهم التي رسخها فيهم الدينالإسلامي،ودورهم في نشر الدعوة.

تناول المادحون الكثير من القيم السودانية التي عُرف بها أهل السودان مثل الكرم والصبر و الشجاعة وغيرها في أشعارهم كما ذكرهم في أخرى وذان شعره بوصف الرسول الكريم وأهل بيته باعتبارهم قدوة يجب التحلي بصفاتهم والتمسك بخصالهم والتأثر بفضائلهم

---

[40]- أخرجه مسلم في صحيحه 4/ 1999، برقم: 2586

[41]- سورة النساء، الآية(36)

[42]- http://www.jameataleman.org/main

[43]- سورة التوبة، الآية (71)

[44]- هو الشريف يوسف محمد الأمين الهنديالشريف: بن الشريف محمد الأمين بن الشريف يوسف الهندي من سكان الرهد منطقة النيل الأزرق،ورحل الى بري في فترةالحكم الثنائي،وهوالزعيم الديني الثالث من زعماءالطرقالصوفية في السودان. له خلاوي في منطقة السروراب، ساهم في الحركة الوطينية له عدة دواوين منها الشمائل والنصيحة. عبدالله حسين، تاريخ السودان، دارالحياة، 1935م، ص561،

[45]- المصدر: https://www.aqaed.com/shia/world/sudan/

ومآثرهم و الإستفادة منهافي تربية النشء:

سفن النجاة للملا بشهادةالنصال أتم *** هم النهى هم البهى هم التقى أهل الشيم
هم الشفاعةفي غدهم السقايةفي الملم *** هم الهدايةحاضرة والنور والقصد الأعم
الطيبون الطاهرون منسوء أرجاس اللمم[46]

نفرد المساحة التاليةلأمثلة وردت فيهابعض من هذه القيم.

حب رسولالله ( ) وأهل بيته

يعني تعبير أهل البيت أفراد عائلة سيدنا محمد ( )، وبهذا المعنى، هم الرسول الأكرم وأسرته، وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وجعفر وعقيل وعباس وأسرهم. لانزاع في أن محبة الله واجبة ،وأن اتباع النبي ومحبته طريق إلى محبة الله ،والآيات أكثرمن أن تحصر في هذا المقام، من الأدلة العظيمة الشاهدة على وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه:((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [47]

وأماأحاديثه صلى الله عليه وسلم فصريحة في الدلالة على وجوب هذه المحبة ،بل وحب رسول الله شرطاً لدخول الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم: "لايُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِوَ النّاسِ أَجْمَعِينَ"رواه البخاري ومسلم.[48]من الطبيعي ان يتعلق الفرد بكل ما يحمل صفات المحبوب،يتجلـ ّى هذا في سلوك المحب كالتعلق بذات وصفات وآثار الرسول واهل بيته. فعلى سبيل المثال إن محبة لحية رسول الله المباركة وثيابه، هي أثر من هذه الحالة الروحية.[49]

لاأحد يمكنه ان يتفو ّق على كثير من أهل السودان في محبة رسول الله وأهل بيته وفي توقيرهم وكثرة الصلاة عليه كما ذكر سابقاً،حيث درسوا سيرته دقيقها وجليلها وحفظوا اشعار العرب خاصة بردة البصيري وترنموا للبرعي اليماني، وصارت عندهم ليالي للذ ِكر و المديح، فنشروا من خلالها القيم والتعاليم الإسلامية. قال محمد المجذوب*[50]:

صببت دموعاً يشهد الحزن أنها*** أتت من فؤاد بالغرام متيم
وليس له من ذا التتيم مشرح*** سوى أن يرى معشوقه فيسلم
حلفت يمينا أنّ قلباً يحبكم ***عليه عذاب النار قطعاً محرم[51]

المديح عبادة لما فيه من توحيد للخالق والإذعان لأمره وفيه من قطوف الفقه والعبادات، تتجلى في القصيدة اسمى آيات الحب، ويظهر فيها إمتلاك الشاعر لناصية الأدب واللغة من حيث المفردة والقالب الشعري. كماانعكست في القصيدة أعظم القيم الإسلامية والأنسانية على السواء. حب الإنسان للانسان لذاته هو قيمة انسانية مطلقة فكيف وهذا الحب لمن خُلق من أجله الكون؟ تتعاظم هذه القيمة عندما ترتبط بالاعتقاد بان هذا الحب هو المنجي من عذاب يوم القيامة. وتبارى الجميع في مدح الرسول( ) وذِكر مآثره ووصف حياته، وغزواته.

---

[46]- المصدر: https://www.aqaed.com/shia/world/sudan/

[47]- سورة آل عمران: الآية (31)

[48]-المصدر: https://archive.islamonline.net/?p=11009

[49]- المصدر: http://ar.osmannuritopbas.com

[50]- محمد طاهر المجذوب، مؤسس الطريقة المجذوبية، في منطقة الدامر شمال السودان، عبدالله الطيب مدح الرسول، ص38

[51]- عبدالله الطيب، مديح الرسول، مرجع سابق، ص38 -39

والأكثر من ذلك يمزجون الشعر بدعوات الوعظ والإرشاد والتوجيه والنصح، للتمكـ ـُن من تأصيل القيم الإسلامية في المجتمع، مثال لذلك الابيات التالية من حيث اشتمالهاعلى معالم واضحة لتربية الابناء وفيهاتوجيه بغرس القيم الاسلاميةالصالحة لكل زمان ومكان وفيها نشر لقيم الرسول وتوجيهاته:

الدين يأبى أن يقال تخاذلوا *** والمجد يأبى أن يقال ألاموا
وطبيـعة الإسلام تأبى الذل*** والإسلام فيه الكر والأقدام
ربوا البنين لغير ما أزمانكم*** تكن الليوث تشنها الآجام[52]

تعرف التربية الصوفية، بين أتباع ومريدى الطرق، بالتربية الروحية، وحققت الطرق و الزوايا الصوفية فى السودان نجاحاً كبيراً ومذهلا ً فى تعليم النشء مبادئ وتعاليم التصو ّف الإسلامى.وتساهم الطرق والزوايا الصوفية بدور فعال، خاصة بعد أدراكها خطورة الفكر المتطرف على المجتمعات السودانية، وأنه لا علاج لهذا الفكر إلا بالتصوف الإسلامى، مما جعل الأنظمة الحاكمة فى كثير من الدول تطلق يد الصوفية لنشر أفكارها وعلومها ومبادئها بين الكبار والصغار. وحب اهل البيت من القيم الصوفية الأصيلة، افاض المادحون في ذكر فضائلهم كما جاء على لسان يوسف الهندي في مدح الرسول وابنته فاطمة:

لقد كان زين الرسل يكرم فاطمَة *** ويجلسها في مَجْلِسُه حين قادمَه
وتشْبهُه خَلقاً وخُلقاً تعاظماً *** وقولا ً وفعلا ً ثم برّاً وأنعُمُ[53]

وكذلك يقول الشريف محمدالأمين :

البضعة الفاطمية يانسل الهاشمية *** أهل الكسا المحمدية يأهل البيت
قد جاء من حكيم بطهركم عليم *** تنزيهكم سليم لا ريب بل وجدتم
الصفح عن ما فات واحيوا بنا ما مات*** تدريبكم رماة بالفضل قد رميتم
قوموا لما طلبنا بيسركم حلبنا*** من دركم شربنا جـــــدتم فيما أبيتم
بدر الظهور والساحة وثغرنا لماحا*** بمنحة السماحة انتم كما علمتم
نعصم من الأمراض لا حسد ولا غضاضة ***ونختم بالرياضة حلى الأمين وطبتم[54]

انتشرت الصوفية (حب أهل بيت النبي) بين الأفارقة منذ ظهور الإسلام، وزاده الحكم الفاطمي الذي امتد ّإلى أمكنة واسعة من أفريقيا والمغرب العربي صلابة وقوة مايزال أثرها موجوداً ً حتى الوقت الحاضر.[55]يظهر هذا في النماذج أعلاه، حيث وصف الشعراء مآثر أهل البيت وسيرة رسول الله . واشارة للاسراء والمعراج، الهجرة النبوية، والوحي.

وخلاصة ذلك أن المديح النبوي يعلم النشئ الصدق والمحبة والأدب ومحبة الوطن، ولذلك نجد أن المبادئ الحسنة لدى شيخ الطريقة تنتقل بشكل تدريجى إلى أتباعه ومحبيه، والصغار فى الطريقة، مما يخرج جيلًا جديدًا تابعاً للطريقة يتم ّتع بالكثير من الخصال الطيبة، خاصة رفض العنف والإرهاب الموجود لدى بعض التيارات الأخرى، وذلك بتعليم الصغار والتركيز على الكثير من المفاهيم والأفكار التى يحدث بسببها الخلاف العقائدي بين

---

[52]- مؤلف غير معروف، من كتاب تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص224
[53]- الشريف يوسف الهندي، مرجع سابق، ص 33
[54] - الشريف، محمد الأمين، مرجع السابق، ص61
[55]..عبد المجيد عابدين، مرجع سابق ،ص64-65

الصوفية والتيارات الأخرى، كالجهاد والكفر والإلحاد وغير ذلك من الأمور.[56] ومن ثم يمكن ان يكون المديح وما يحمله من محبة رسول الله واهل بيته آلية لتغيير كل مسالب المجتمع السوداني.

الكرم

الكرم ضد البخل والشح، ويُطلق على فعل الخير بأنواعه، كالإنفاق في سبيل الله مما نحب، وإطعام الطعام، والجود بالغالي والنفيس عن اقتناع وطيب خاطر وحرية، بشرط أن يكون ذلك الإنفاق مشروعا، والمـ ـُنفق منه حلالا ـً طيبا ـً. ولقد حثّ الإسلام علىالكرم و العطاء، فقال سبحانه وتعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[57] وقال تـعالى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[58] أيضا(لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)،[59]وهو من الفضائل المحمودة في الوسط السوداني.تحلى معظم أصحاب الطرق بالجود والعطاء ، فقدكان الشيخ ملجأ للفقراء والمحتاجين والمسافرين والغرباء، يوّفرلهم المأوى والغذاء ،الأمر الذي مهّد لدخول الكثيرمن الغرباء في الطرق الصوفية لذا أصبح السودان مصب لهذه الهجرات النازحة.[60]

تناول شعر المديح هذه الصفة(الكرم) باعتبارها احدى القيم الإنسانية التي لا تجري عليها أحكام التغيـ ـّر والتعديل لأنها صفة شخصية عززها الدين الإسلامي، وصفة من صفات الله واسم من اسمائه تعالى، تناولها المادحون الذين مجّدوا في أشعاهم كرم النبي وأهل بيته. قال محمد وقيع الله البرعي في قصيدة السيدة خديجة بنت خويلد:

أكرم بذات المجد بنت خويلد *** هي أمنا زوج الرسول محمد
تـــلك التي نـالت به كل المنى *** ومكانة فوق السّهى والفرقد
نشأت على التقوى وعاشت في غنى*** بين الكرام الطاهرين السجد
ايمانها يدعوا الى تزويجها *** بمحمد عطائه ذات الـيد
وهبت لأحمد نفسها ونفيسها*** لا تبتغي إلا محبة أحمد[61]

تدور القصيدة حول كرم المرأة من خلال شخصية السيدة خديجة رضي الله عنها، و الذي نتج عن نشأتها ومما اكتسبته من الإسلام، الجود بالنفس وهو من أعظم درجات العطاء. وضع الشاعر نموذجاً لسلوك الزوجة المسلمة يُحتذى به.

أشار الشيخ البرعي إلى عدد من المفاهيم والقيم ذات العناصر المتقاربة والتي تحمل أكثر من مضمون مثل الكرم والإيثار والصدق والأدب، والتي صارت منهاجاً يسهم في تنظيم حياة الأفراد وترابطهم. وكذلك وضّح البرعي في قصيدته الإتجاه الذي أتخذته السيدة خديجة بنت خويلد حيال العديد من القضايا المهمة في حياة النبي مثل (نزول الوحي)، وما عكسته من صبر، وموازرة، وتشجيع، فقد غلب على تصرفاتها الطابع العقلي المعرفي الذي اكتسبته

---

[56]- المصدر: https://www.dostor.org/2227928
[57]- سورة الحشر، الآية (9)
[58]- سورة البقرة، الآية (261)
[59]-سورة آل عمران، الآية (92)
[60]عبدالمجيد عابدين، مرجع سابق، ص64-65
[61]- عبد الرحيم محمد وقع الله البرعي، ديوان رئاض الجنة ونور الدجنة، ط2012،5م، الخرطوم، ص66

من البيئة المحيطة بها ومن تجاربها في الحياة. وفي نموذج آخر تناول الكرم وربطه بالبيئة، قال الشيخ عبد الرحيم البرعي في مدح كرم سيدنا على :

أسد الله ابن ابي طالب علي
زوج البتول اللي الأله طالب
والد السيدين ضرع الكرم حالب
في بطن الوطيس لي عزازهم صالب
منصور في المعارك وللرجال غالب[62]

تحدث الشيخ البرعي عن سيدنا على ووصف كرمه وشجاعته وقربه من النبي في لغة بسيطة خاطب بها أهل السودان من واقع بيئتهم، (ضرع الكرم حالب) تشبيه مُستقى و مُستوحى من بيئة المزارع والراعي وتتناسب مع مخزونهم المعرفي.

الصبر

الصبر من القيم الأنسانية العظيمة لقوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾،[63] هو من القيم الفاضلة والصفات التي ترفع من قدرالإنسان ومكانته عند الله،فالصبرعلي قضاء الله فيه بشرى بالجزاءً الا محدود (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [64] وكذلك قوله تعالى (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [65]، أتصف به المسلمون الأوائل وتحمّلوا أصنافاً من الهوان في سبيل الدين ونصرة الرسول. وكما هو ديدن الصوفية في جعل أشعارهم مادة سلسة لبث الثقافية الإسلامية والتوجيه والإرشاد، فقد تناوله المديح. ق ال بعض المتأخرون:

تزود للخطوب السود صبراً ***جليداً فيه للنفس العزا
كما صبر الأولى من قبل كانوا*** فان الصبر ظلمته ضياء[66]

الصبر مُلازم للعبادة ولصيق باركانها من صلاة وقيام ليل وصوم وحج، وكما صبر المؤمن على الشدائد تقرباً الى الله تعالي، فقد دعى الشيخ البرعي الى الصلاة وملازمتها والصبر عليها فقال:

أن الصلاة عماد دين محمد*** وكذلك ركن بناء دين الله
فاصبر عليها إنها لكبير *** إلا لعبد خاشع.. آوه
إن الصلاة مع الجماعة سنة *** يرجى قبول صلاتها لله[67]

تعر ّضت الأبيات لكثير من التعاليم وما ارتبط بها من عبادات؛ وتحدّث عن شمولية الصبر فهو يطغى على كل ممارسات المسلم وسلوكه، حتي في الصلاة والتي هي ركن من اأ كان الإسلام وعماد الدين ومن ثم يصبح المُوجّه الأساسي لحياةالفرد وسلوكه،قال تعالى: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ).[68]

العفة

---

[62]- عبد الرحيم محمد وقيع الله، مرجع السابق، ص67
[63]-آل عمران، الآية (200)
[64] سورة الزمر الأية (10)
[65] - سورة البقرة الآية (155)
[66] - عبد المجيد عادين، المرجع السابق، ص 210
[67]- عبد المجيد محمد أحمد، القيم الأجتماعية في التراث الأدبي السوداني، 2002م، ص196
[68]- سورة الرعد، الآية (24)

تناولت المدائح النّبويّة العفة وهي من القيم الإجتماعية التي تميّز بها المجتمع السوداني، وربمايكون الدخول عليها في دائرة الخصوصية وهي خصوصية لاتخلو من الصعوبة ولكنها تأتي مصبوغة بصفات عالية، فالمجتمع السوداني مجتمع محافظ اي يجيد التعامل مع مبادئه الثابتة المُستمّدة من الدين الحنيف الذي غيّر في طباع المرأة وجعل الحشمة والعفة من أهم وأجمل صفاتها وجعل قدوتها أهل بيت الرسول( )؛ أمهات المسلمين.

قال البرعي في السيدة خديجة:

وتزرعت بعد الجمال بعفةٍ*** والصدق والأدب الرفيع الاتلد
إجلالها إيثارها لنبي-ها *** بل فوق ذا إقرارها بتش-هد
ك-انت تزوده ليعبد ربّه *** وي-كون أهلا للمقام الأوحد[69]

تناولت القصيدة عدداً من صفات السيدة خديجة متمّثلة في العفة والأدب والاخلاق و الصدق والصلاح في لغة سهلة وكلمات بسيطة، تأثِر الفتاة السودانية وتحرّك وجدانها فتتحوّل لديها الى سلوك ومنهاج حياة.

الشجاعة

هي من القيم الفاضلة التي عُرف بها السودانيين وقد أرتبطت لديهم بالخُلق الكريم، وبالإ قدام على المكاره، وثبات الجأش على المخاوف، والاستهانة بالموت. قال الشيخ عبدالرحيم البرعي:

فارس الصافنات اللي الجيوش فرتاق
هزام الصفوف الحربوا ما بنطاق
جلاب السبايا للرقاب عتاق
مشروح الصدر واسع فسيح ما ضاق
فم-ه بالمعارف والفهم نطاق[70]

تصدّر سيدنا علي بن ابي طالب منبر الفروسية في شعر المديح، فقد سجّل له التاريخ غزواته التي أصبح بها مضرباً للأمثال السودانية، فليس هناك فروسية بدون فرسان. استخدم الشاعر اللغة العامية البسيطة ليعدّد مآثر سيدنا علي، فهو الفارس الذي يزعزع الأ عداء، يهزمه ويأخذهم سبايا ومن ثم يعتقهم، وهو العالِم ايضاً. من أبرز ما كان يُميّز أميرَ المؤمنين عليّاً بن أبي طالب -كرّم الله وجهه-قوّة إيمانه، وشجاعته المنقطعة النّظير، ولعل أعظم الأمثلة على ما ذكر؛ ما فعل في الهجرة النبويّة الشريفة، فقد افتدى عليٌ النبيّ - ونام في فراشه؛ لمّا أحاط زعماء قريش ببيت النّبيّ صلى الله عليه وسلم؛ يريدون قتله، فأعمى الله -عزّ وجلّ- أعينهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وخرج من بينهم آمناً، وكاد القوم أن يقتلوا علياً رضي الله عنه؛ لاعتقادهم بأنّه النّبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يدلّ على شجاعة علي بن أبي طالب، وقوّة إيمانه.

وهذه شواهد من الشعر الشعبي السوداني في الإمام علي :

مدحناك يا ابن الذي كان كافلا *** لأحمد شفاقاً وما كان غافلا
ودانيه عن النفس له ومحافلا *** وحاميه من جيش الطغاة ومْكرِم[71]

البر

---

[69]- عبد الرحيم محمد وقع الله البرعي، مرجع سابق، ص66 __
70- عبد الرحيم محمد وقيع الله البرعي، مرجع سابق، ص67
[71]- الشريف يوسف الهندي، مرجع سابق، ص 31

حب أهل البيت هو مدعاة لنيل البر والإحسان وهنالك الكثير من شعراء الصوفية الذي تخصصوا في مدحهم ، قال البرعي:

هم أهل البيت الواضح سرهم ***** زرهم بمحبة لتنال من برهم
سيدي الحسين الثائر درهم ***** وعلي زين العابدين حبرهم
جعفرنا الصادق مع موسى صدرهم ***** أستاذنا الباقر في العلم بحرهم
في البر وبحرهم لله درهم[72]

تناولت أبيات الشيخ البرعي مجموعة من الصفات التي يتميّز بها المؤمنون الاوائل من أهل بيت رسول الله بهم يتم القبول والرضى لأنهم أهل العلم والمعرفة بأمور الدين والثقافة الإسلامية.

فضائل أمهات المسلمين

رسم المديح صوراً ونماذجاً سلوكية تقتدي بها المرأة المسلمة في حياتها، كإنسانة وكزوجة, فقد وضحت استقلالية شخصية المرأة المسلمة في الواجبات والحقوق؛ كحقها في الخطبة، التجارة وغيره. تحدّث البرعي عن زوجات رسول الله قال:

جمعمن تنسب*** للسيدة الجدة

يعنيبها السيدة خديجةبنت خويلد فهي جدة احفاد رسول الله،اتصفت هذه المرأة العظيمة بصبرها وقوة عزيمتها في وقوفها مع الرسول الكريم فها هو الشاعر يوسف الهندي يقول في السيدة خديجة بنت خويلد في قصيدة فضل المولد:

وقد نظرت منهم خديجة ما جرا *** ففازت به من حينها نِعْم متجرا
وقد خطبتـه والجـموع تشـاجرا *** وقد كان قبل تزويجها والتّنعَمُ
وقد آمنت بالصدق والنور يزهرا *** وواست بمالٍ للنّبى وأحْشُم[73]

تناول الشاعر الشريف الهندي السيرة العطرة لسيدة نساء العالمين خديجة،فذكر القيم التي تحتوي عليها هذه السيرة حيث أنها أكمل النساء إيماناً وأخلاقاً، شخصية ناضجة، مستقلة وناجحة؛ فقد قامت بخطبة النبي،حفلت سيرتها الطاهرة على كثيرٍ من المواقف التي انبأت عن شخصية عظيمة فذّة تصلح لأن تكون أسوة وقدوة حسنة لنساء العالمين بما حملت من الصفات الفضائل العظيمة.

وقال الشاعر يوسف الهندي في مدح السيدة فاطمة الزهراء:

مدحنا لبنت الهاشميّ محمدا*** ففاطمة الزهراء التي نورها بدا

حبيبة خير الخلق في كل معهدا*** ووالدةٌ أعني خديجة أنــظم

لقد كان زين الرسل يكرم فاطمة ***ويجلسها في مَجْلِسه حي قادمَ

هوتشْبَهُ خَلقاوخُلقا تعـاظما *** وقـولا ً وفعلـــلـاً ثم بِرّاً وأنعُمُ

---

[72]- المصدر: https://www.imamreza.net/old/arb/imamreza.php?print=2544

[73]- الشريف يوسف الهندي، مرجع سابق، ص7

وقد زادت الأملاك بتبشيرها أحمدا*** بفاطمة ست النساء ليحمدا[74]

تحدثت الأبيات عن السيدة فاطمة بنت رسول الله والقيم التي تحملها ومكانتها عنده ومكانتها الدينيه فهي سيده من سيدات الدنيا، وسيده من سيدات أهل الجنه، وهنّ اربعه (خديجه بنت خويلد، ومريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم، وفاطمة بنت رسول الله).ويذهب اتباع مدرسه أهل البيت انها افضل نساء العالمين،فقد كانت عالِمة لها مكانة في مجلس رسول الله.تصوّر القصيدة منهاج االعلاقة الآباء بابناءهم؛فهاهي السيدة فاطمة الزهراء أحب ابناء الرسول إليه واقربهم الى قلبه قال رسول الله (فاطمة بضعه منى).[75]، و المفهوم الواجب إقراره هنا هو المكانة والوضعها المتميّز للمرأة في الإسلام، فهي نفس الفتاة التي كانت تؤد حية في الجاهلية، الامر الآخر هو حقّ المرأة في التعليم واستفادة المجتمع من تجاربها ومعارفها كونها مكوّن اساسي لهذا المجتمع. كما تكلم البرعي أيضاً عن السيدة عائشة بن ابي بكر:

ذو الخصال الجيدة ***عنه تحكي السيدة

يقصدبها السيدة عائشة، ويقول الرسول( ) خذوا دينكم من هذه الحميراء وذلك لغزارة علمها وحب الرسول لها.[76]

كما قال يوسف الشريف الهندي:
مودتهم في القرب من أعظم الأجر*** وحبهم ينجي لدي القبر والحشر[77]

حملت القصائد مُحصلة لمجموع الاتجاهات التي قد تتكو ّن لدى الفرد إزاء هذه القيم التي تلعب دورا أساسيا في اتخاذ الفرد لقراراته وجوانب سلوكه ومن أمثلة هذه القيم: (الصدق, الأمانة, تحمّل المسؤولية, الشجاعة).ابرزت الثقافة الإسلامية ذلك القدر من المعارف والمهارات والقيم والاتجاهات التي تحقق الأغراض التربوية فتناولها المديح.

ويمكن القول ان هذه القيم والمفاهيم قد انتشرت وصارت جزءً من الموروث الثقافي السوداني، فصارت مُضمّنة في التراث الشفاهي وفي عدد من المقولات والأمثال المُتداولة، فمثلا ً إذا أراد أحد السودانيين أن يعبّر عن مدى مظلوميته وبالغ الحيف الذي وقع به يقول: (أنا مظلوم ظلم الحسن والحسين) وربما لا يدرك البعض رغم ترديده لهذه المقولة من الذي ظلم الحسن الحسين؟ وكيف ظُلما؟، إنما هو يردد جزءً من الموروث الثقافي الشعبي في السودان، ومن ناحية أخرى لا يكاد أحد منا في صغره لم يسمع شيئا من أبويه أو جديه عن سيف علي الكرار وشجاعة حيدر الكرار وشعر المدائح السوداني يفيض بهذه المعاني.بـ الرغم من التداخل والتحو ّل فيما بينها, الإ أن العادة منشؤها فردى والتقليد جماعي. حيث يصبح كل منهما قانوناً ع ُرفياً يلتزم الناس به ويحتكمون إليه لحل مشاكلهم. فهم

[74]- الشريف يوسف الهندي، مرجع سابق، ص33-34
[75]- المصدر: https://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/

[76]- الزمزمي بشير ورقة بعنوان الشيخ عبد الرحيم البرعي ودوره في تبسيط الدعوة لعامة الناس، مؤتمر الإ سلام في أفريقيا 2006م
77- الشريف يوسف الهندي، مرجع سابق، ص35-36

يتوارثونه جيلا عن جيل، إذ ينشئون له المجالس التى يسمونها بمجالس الجودية.

3. خلاصة

عرف السودان ألواناً من أدب التصو ّف الإسلامي لاسيما قبل الثورة المهدية ،فقدانتشرت الطرق الصوفية في جميع أنحاء السودان ،وشاعت فنون المدائح النبوي ّة التي كانت تمجّدآل البيت ومن ينتسب إليهم من مشائخ الطرق. ولهؤلاء المشائخ أنفسهم قصائدا ً يسمونها "لسانالحضرة"،يذكرون فيها الهبات التي أكرمهم الله بها. ولهذه القصائد ألحان أتوقّع على حركات الذكر،كما رافقتها بعض آلات الموسيقى مثل (الطار) والطبل والصنج.تتفرّد بعض المجتمعات بايقاعات خاصة بهافي المديح ؛مثالا لايقاعات التي يتفرّد بها المديح لدي الجماعات الصوفية من قبيلة تقوي (Tagoi)فيجب الرشاد في منطقة جبال النوبة والتي يعتبرونها من مميزات القبيلةكما ذكر ذلك حسن حسينأحمد حامد في مقابلة شخصية (أكتوبر 2016م).[78]

كان شعراء المديح من المتصوفين ينظمون قصائدهم باللغة العامية ،وقليل من مشائخ الطرق الصوفية من كان ينظم مدائحه باللغة العربيةالفصحى.استخدم الشعراء الفاظاً شائعة ومعبّرة عن البئية السودانية باختلافاتها الجغرافية والثقافية والإجتماعية للوصف وكذلك لإيصال المفاهيم والقيم المختلفة.

اشتمل المديح النبويّ على الكثيرمن القيم الإنسانية والدينية العظيمة والتي أهمها الحب؛ محبة الرسول( ) لذاته وصفاته، حب الصحابة وأهل البيت، والسائد ان المحبة تكون دافعا لإ رضاء المحبوب، ويتمث ّل هذه الحب بالتمسك بتعاليم وتوجيهات الرسول( ). هنالك قيم كانت موجودة في المجتمع السوداني قبل الإسلام واحدى ملامحه مثل الشجاعة والإقدام، عزز ّها المديح، وهنالك ممارسات كانت سائدة ايضا قبل الإسلام فذم ّها المديح مثل التبرج فتُركت واخرى أبقى عليها مع تغيير دلالتها مثل الشجاعة والإستبسال في القتال فصارت لرفع كلمة الله والإستشهاد في سبيله، الكرم لم يعد للتفاخر وانما لمساعدة الاخوة في الدين وتعبيراً عن التكافل الإجتماعي. أبرز المديح قيماً كانت تميّز المجتمعات العربية مثل الكرم، الشجاعة، المروءة والنجدة. تضمّن المديح قواعداً عامة في العبادات مثل القبض والسدل في الصلاة. تعليم النشءالسيرةالنبوية وكذلك العديد من المبادئ مثل رفض العنف والإرهاب، محاسبة النفس, مراقبة الله في السر والعلن، التعل ّق بآثار الرسول ( ) وصفاته واقواله وافعاله، واخيراً تضم ّن المديح عدداً من القيم مثل الصبر، الشجاعة، الكرم، البر, العفة، الصدق، الإيثار، الرضا، والأدب. وكذلك مجّد المديح مآثر آل البيت والصحابة رضي الله عنهم وارضاهم.

4. التوصيات

يتضح فيما أستعرض من نماذج للمديح النبوي ّ في السودان احتوائه على الكثير من القيم الإنسانية الرحبة من محبة وعدل وشجاعة وغيرها، وكذلك يشير انتشاره الواسع خارج نطاقه التقليدي- الطرق الصوفية- الى ان له قيمة وحظوة ومكانة لا يُستهان بها، وعليه يوصي الباحثان بالتالى:

- توسيع موضوعات المديح لتشمل قضايا تمس امن وسلامة المجتمع السوداني، بحيث يمكن استخدامه لنشر مفاهيم العدالة الاجتماعية ونبذ الفرقة والشتات

[78]- Nashid, Sawsan Abdel Aziz Mohammed (2016): Language and Identity among the Tagoi of the Sudan, p 10 (forthcoming).

- منهجة المديح النبوي ّ ليكون وسيلة تربوية تساهم في ذيادة الوعي لدى المجتمعات
- استخدامه كآداة للإصلاح الحقيقي للمجتمع وذلك لنشر قيم السلام والتنمية وقبول الآخر
- اجراء الدراسات الأكاديمية للوقوف على ملامح المديح ودوره وما يمكن ان يقدمه للمجتمع السوداني

المصادر

القرآن الكريم والحديث النبوي

المراجع

1- عبد العزيز أمين عبد المجيد، التربية في السودان من اول القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر والأسس النفسيه والاجتماعية التي قامت عليها، القاهرة ،1949م

2- محجوب عمر باشري، معالم تاريخ السودان، السودان، 2000م

3- محمد فوزي مصطفى، الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر، السودان، 1972م

4- الشاطر بصيلي عبدالجليل، معالم تاريخ سودان وادي النيل، السودان، 2009م

5- عبد المطلب الفحل، الصلاة على الرسول الماحي في مدائح حاج الماحي، السودان، 2010م

6- عون الشريف قاسم، في معركة التراث، بيروت، 1972م

7- عون الشريف قاسم، الاسلام والعربية في السودان، بيروت،1989م

8- عبدالله الطيب، المرشدإلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط2، الكويت بالتعاون معهد الآثار الإسلامية

9- عبدالله الطيب، مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مستل من المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعته، استخرجه ابراهيم القرشي، السودان 2014م، ط1

10- القرطبي(أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكربن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين)، الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي أحمد البردونيو ابراهيم أطفيش، دارالكتب المصرية، القاهرة، ط2،1964م، ج18

11- الفاضل احمد السنوسي، الدور الوطني لفن الغناء والموسيقى في السودان، السودان ، 2014م، ط 1

12- ابراهيم القرشي، الشيخ حياتي البارع، الخرطوم ،2016م

13- عبد الرحيم محمد وقع الله البرعي، ديوان رياض الجنة ونور الدجنة، 2012،5م، الخرطوم 14- عبد الرحيم محمد وقع الله البرعي، ليك سلام مني، الخرطوم، 2003م، ط2

15- الشريف يوسف الهندي، ديوان الشمائل، السودان ،1980م، ط1

16- الشريف محمد الأمين الخاتم، الكهف الرباني، السودان، 2017، ط1

17- عبدالله حسين، تاريخ السودان، دار الحياة،بيروت، 1935م

18- الحافظ بن ابي الدنيا، مكارم الأخلاق، تحقيق مجدي السيد ابراهيم، بواق ،ب ت

19- عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، الخرطوم، 1967م

20- حسين النور يوسف، من شعر المديح النبوي، الخرطوم، 1993م، ط1

الاوراق العلمية

1- الزمزمي بشير ورقة بعنوان: الشيخ عبد الرحيم البرعي ودوره في تبسيط الدعوة لعامة الناس، مؤتمر الإسلام في أفريقيا، 2006م

2- بكري الناير محمد زين ورقة بعنوان: مشروعية المديح النبويّ، كلية الآداب، جامعة سنار، السودان، 2018م، ع(38)

3. Nashid, Sawsan Abdel Aziz Mohammed (2016): Language and Identity among the Tagoi of the Sudan, p 10 (forthcoming).

Websites

http://althawrah.ye/archives/572075

http://www.oujdacity.net/regional-article-12715-ar/regional-article-12715-

https://www.alquds
https://www.almaay.com